مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما او والامر
في وجوده ونفسه مرتب من على النساب لا تعدي عن شريف خسيس ولا عن حقير لعظم فلا بد من التناسب
بين الكبش وبين هذا النبي الكريم ذاتا وصفة فقوله الم يدر تنبيه للطالب على ينظر بنظر
الحق ويعلم ان المناسبة الذاتية بينهما هي ان كلا منهما مظهر للذات الالهية والمناسبة
الصفاتية تسليم كل منهما لما حكم الله عليهما وانقيادهما لذلك طوعا فيتيقن ان الظاهر في
الصورة الكبشية هو الذي ظهر في صورة الاسحاقية وخصص ظهوره بها في الفدا للمناسبة
بينهما في الانقياد والتسليم فلا خلق اعلى من جماد وبعده نبات على قدر تكون واوزان
ولما كان السر الوجودي ظاهرا في الكل والتفاوت والتفاضل انما يقع في المراتب بين
ان الاقرب الى الحق افضل من غيره لقلة الوسايط بينه وبين المقام الجمعي الالهي ولعدم تضاعف
الوجوه الامكانية لان كل ما يتركب من امور ممكنة يتصف بامكان الهيئة الاجتماعية
الحاصلة له وامكانات اجزائه فيتضاعف الامكان وكلما كثر وجوه امكاناته يزداد بعدا
من الواجب لذاته لذلك قال تع لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل السافلين
وكما انه بحسب التجرد عن خواص المكان واداء الامانات الماخوذة منها عند نزوله من كل
مقام ومرتبة من عالم الغيب الى عالم الشهادة بترك التعشق لها والاعراض عنها اتين عن وجوه
الامكانات ونقايصها فيظهر له الوجوب الذاتي الذي كان له بحسب الذات الالهية وكمالاته
الذاتية ويكون في اعلى عليين من المرتبة كذلك الواقف في مقامه السفلي البشري متعشقا
الى كل ما حصل له عند النزول يكون في اسفل سافلين ولا شك ان البسايط اقرب من المركبات
الى الحق ثم المعادن وهما المرادان بالجماد ثم النبات ثم الحيوان ولما كان منها مظهر للذات التي
هي منبع جميع الكمالات كان الكل موصوفا بالعلم بربه كاشفا لما يتعلق بمراتبهم بارواحهم في
الباطن وان لم يظهر ذلك منهم لعدم الاعتدال الموجب لظهور ذلك كما يظهر من الانسان
وقوله على قدر يكون واوزان اي على منزلة ومرتبة يكون للنبات عند الله والوزن هو
القدر والمرتبة يقال فلان لا وزن له عند الملك اي لا قدر له ولا قيمة عنده وذو الحس
بعد النبت فالكل عارف بخلاقه كشفا وايضاح برهان واما المسمى ادم فمقيد بعقل وفكر
او قلادة ايمان اي الاقرب من الله بعد البسايط والمعادن والنبات الحيوان لذلك اعطى الله
له جميع ما يحتاج اليه كما قال اعطى كل شي خلقه ثم هدى ولا ترقي له الى ما تعين له من الكمال
ولما كان جميع الموجودات حيا عالما بربه عند اهل الكشف والشهود قال فالكل عارف
بخلاقه وقوله كشفا اي يعرفون ربهم بالكشف الحاصل لروحانيتهم عند الفطرة الاولى او من علمناه كشفا
الكل

٩٧

اى

ولما كان الكشف حجة لصاحبه دون غيره قال وايضاح برهان اي علمناه برهانا من حجة
ايضا والمراد بالبرهان ما يعطيه العقول المنورة والشرع المطهر من الادلة منها قوله سبح لله
ما في السموات وما في الارض وقوله وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم والتسبيح
لا يكون الا بعد المعرفة بان له ربا يربه صاحب كمالات منزها عن النقايص الكونية فنبه
بعرفانهم وبعدم عرفان الثقلين لان الخطاب للامة وهو علم مبعوث لهما فان الجن ايضا داخل في قوله
لا يفقهون تسبيحهم وايضا الجن لا مدخل لها في عيوب الموجودات لاحتجابهم عن الحقايق كما قال فلما
خر تبينت الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ومنها ما رواه البخاري عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال قال النبي صلعم يقول اذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت
صالحة قالت قدموني قدموني وان كانت غير صالحة قالت لاهلها يا ويلها اين يذهبون بها يسمع
صوتها كل شي الا الانسان ولو سمع الانسان لصعق وروى الترمذي عن ابي امامة ان رسول
الله صلعم قال فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم قال رسول الله صلعم ان الله وملايكته
واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في الما ليصلون على معلمي الناس الخير
وروى ابو داود والترمذي في باب فضيلة العلم عن ابي الدردا في حديث طويل وان العالم
يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الما وعن سهل ابن سعد قال قال
رسول الله صلعم ما من مسلم يلبي الا لبى من عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض
من ههنا وههنا لذلك كانت التي جعله النبي صلعم قربانا بدلو كل منها اليه صلعم ليكون
اول ما يتقرب به بين يديه والعقل وان كان محجوبا عن هذا الطور لكنه اذا تنور بالنور الالهي
وعرف سريان وجوده في جميع الموجودات يعلم ان لكل منها نفسا ناطقة عالمة سامعة هي نصيبه
من العالم الملكوتي كما قال تع بيده ملكوت كل شي وبحسب كثرة وجوه الامكانات يبعد عن
الحق ويغفل عن عالمه النوري فيحتجب ويحصل لها الدرن وبحسب قلتها يقرب منه ويستفيض منه الكمالات
ويتنور بانواره ولا شك ان البسايط اقرب اليه من المركبات ثم المعادن ثم النبات ثم الحيوان فيصح
عنه ايضا ان الكل عارف بالله منقاد لربه مطلع لما يفيض عليه ومتمم منه على مراده ثم بذا قال سهل
والمحقق مثلنا فانا واياهم بمنزل احسان اي قال سهل التستري رضي الله عنه بهذا القول من ان
البسايط اقرب من الحق كما مر وهكذا يقول كل محقق عارف بالله والمنزل الاحساني هو مقام
المشاهدة وانما قال مثلنا لان العارف المطلع على مقامه هو على بينة من ربه يخبر عن الامر
كما هو عليه كاخبار الرسل عن كونهم رسلا انبيا لا انهم ظاهرون بنفوسهم متبجحون بما يخبرون
عنهم فمن شهد الامر الذي قد شهدته يقول بقولي في خفاء واعلان اي من شهد الحقايق

Copyright © King Saud University